تفسير أبي السعود

البقرة 19 .

ا ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والأنفس بعين التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الأرعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية وهذا عند مفلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال ... ويصعد حتى يظن الجهول ... بان له حاجة في السماء ... لما ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الأستعارة التي يطوي فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير ... لدي اسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد اظفاره لم تقلم ... فهم لا يرجعون الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها أي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي اخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فإن قصارى امر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير تعرض لمشعرى السمع والنطق ولاختلال مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالايةالكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بأن ما أصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين في مكاناتهم لا يرجعون ولا يدرون أيتقدمون ام يتأخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدأوا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم فالضميران للمستوقدين او كصيب تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفي حقها من التفظيع والتهويل فإن تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بأن يضرب في شأنه الامثال ويرخي في حلبته اعنة المقال ويمد لشرحه اطناب الاطناب ويعقد لأجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد ان يوفي فيه حق كل من مقامي الإطناب والإيجاز فما ظنك بما في ذروة الإعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعى عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما سيأتي من الضمائر المستدعية لذلك أي كمثل ذوي صيب وكلمة او للإيذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو

النزول الذي له وقع وتأثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ ... عفا آيه نسج الجنوب مع الصبا ... واسحم دان صادق الوعد صيب ... ولعل الاول هو المراد ههنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل الاول وامد به ما فيه من المبالغات من جهة مادة الاولى التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومادته